إن تلك القوة الغاشمة ، قد دمرّت الإنسان والحياة والطبيعة وجعلت كل ما يحيط بهذا الإنسان عدواً له ..

فكان من الواجب .. معرفة واجب الحياة .. معرفة الحقيقة .. معرفة الذات التي هي ماهية الوجود.. ومعرفة السبل إليها..من أجل عقلها.. والسمو بالحياة من خلال وعي الحياة .. من أجل تحقيق الغاية الإنسانية .. في كمال جوهرها .. في تحقيق البسط والسعادة والفرح ..

الجزء الثاني من مسيرة الشهيد كمال جنبلاط

"إن السياسة هي (علم السيادة) و (سيدة العلوم). أرسطو . بلى، إذا ما كانت قائمة على الوعي،ومعتوقة من المصلحة وناشدة غاية الوجود. لأن المصلحة خاضعة أبداً ، والسيادة قد تعدت كل أسباب الخضوع.

إن سقراط السيد قال للملك : " ليس لسقراط حاجة إلى حجارة الأرض وهشيم النبت ولعاب الدود. أعلم أيها الملك : الذي يحتاج إليه سقراط هو معه حيث توجه".

فالسيد ، إنما هو ذاك الطائر الذي قال لي:إن حبتين قد تشبعاني أيها الإنسان، وأنت لا يشبعك شيئاً ،لتنام كل يوم على عزاء وتنهض على عزاء جديد .. وخوف ووجل.

والسياسة في نظر جنبلاط، إنما هي أخلاق ومبادىء " إنها مسلك شريف لأن لها علاقة بقيادة الرجال وتوجيههم " كما جاء في " أدب الحياة ".

ويرى أرسطو " أن أسوأ ما يصاب به شعب هو أن يُحكم ممَّن هم أسوأ منه"، ويؤكد المعلم كمال جنبلاط أن " السياسة لا يجوز أن تمارس أو يُنظر إليها وكأنها كنيسة من نوع جديد. إنها علم وفنّ في آن واحد ... وهي في معناها تربية الجماهير وتعويدها على الطريق الأفضل والمسلك الأشرف ".

"إن السياسي الحقيقي، أي رجل الدولة، يجب أن تكون له دائماً عين على المبادىء يستلهم منها مواقفه وتصرفاته، وعين أخرى على الواقع المحيط بتطبيقها " ..ص 6

وقد تعجّب تشرشل من إلصاق كلمة صدق بالرجل السياسي فكتب قائلاً : " رأيت وأنا أسير في إحدى المقابر ضريحا كتب على رخامته: هنا يرقد الزعيم السياسي والرجل الصادق ... فعجب كيف يدفن الاثنان في قبر واحد".

وقالت موسوعة السياسة :" إن السياسة هي فن ممارسة القيادة والحكم وعلم السلطة أو الدولة وأوجه العلاقة بين الحاكم والمحكوم. هذا حسب الكاتب، لكن رأي المعلم هو الأغنى لقوله : " إن السياسة شرف "

لنقل : " إن السياسة المثلى هي وعي القيادة ، لا بل وعي العلاقات الإنسانية فيما بينها وتحقيقها من خلال الوعي حتى في الطبيعة والوجود".

قد تكون الديمقراطية هي الأغنى إذاما حققها الوعي الذي يتعدى القوة إلى الإرادة، والمصلحة إلى الغاية من الوجود.

بلى، إن السياسة شرف حسب جنبلاط، لكن هذا الشرف الذي يتحقق في واقع يجهل؛ لا بد أن يكون محكوماً وخاضعاً ، في حين يكون الشرف الذي يقوده الوعي سيداً في ذاته وفي واقعه.

لا بد أن تذوب السلطة في الوعي وتتلاشى مع حركة الوعي؛ من خلال وعي الحق والواجب، من خلال وعي الغاية الحقيقية من الوجود، من خلال الثراء المعنوي للإنسان ليكون هو المحرّك والدافع نحو الكمال الإنساني من صميم الإرادة الإنسانية، وليس بالقوة المادية وسلاحها القاهر.

إن عيب المجتمع البشري الفاضح،هو أنه تأدب وتأبد بوسائل القوة ومن خلالها وضع قوانين الحياة الجائرة ،مرتكزة على القوة الخارجة عن نبع إنسانيته، القوة التي اتجهت بسلاحها إلى إنسانية الإنسان من أجل قتلها.

نحن نتطلع إلى خلق مجتمع يحقق الغاية من وجوده، إذا ما كانت الغاية الحقيقية هي كماله الإنساني. وأن السبيل الفعلي إلى تلك الغاية هو .. الوعي.

إن هذا الإنسان الذي راهن على الفكر معلماً وملهماً وقائداً، قد فشل فشلاً ذريعاً في رهانه، حيث جسّد الباطل القائم على الجهل عنوة، من أجل تجسيد الصراع بين البشر، هو صراع مبنيّ على القوة ، فمن يَقهر يسود. إن الفكر قد جسد القهر بين البشر ، وغايتنا هي تجسيد الحب والنور والسلام، فما دمنا من جوهر النور، لماذا نعيش في الظلام؟

إن تحييد الإنسان عن واجبه الحقيقي في الحياة من خلال العلم والمعرفة والوعي، هي جريمة في رقبة الفكر.. فعلى قارعة الطريق خلال عودتي من العمل في دير الزور ، سألت شيخاً تقياً السؤال التالي: " أيهما أولاً ، الدين أم العلم؟ فأجاب قائلاً : الدين؟. فقلت له : لا بل العلم ، من أجل أن نعرف جوهر الدين لنهتدي إلى سبل الحياة في بصيرة جوهرية.

بالوعي نعقل الحقيقة التي نحن من صميمها ،بالوعي نعقل إنسانيتنا المباركة، نعقل سيادتنا الحقيقية، لنصبح إرادة حياة تحقق واجب الحياة ، وجنة الإنسان على الأرض.

ليس الوعي بتحصيل العلم من أجل لقمة العيش، بل هو الإبحار في عالم المعرفة، معرفة العلة والغاية والبداية والنهاية ،معرفة الجسد الإنساني والذات والوجود، معرفة السبل التي نرقى بها إلى السعادة التي ننشدها.

نتطلع إلى الإنسان الذي قد يصبح عَالَماً في ذاته، عالم قائم على الحب، وليس على تلك التناقضات الفاسدة،

إن الوعي قد يلغي جميع تناقضات الفكر، من أجل أن يصبح الإنسان في صميم حركة الوجود السرمدية هذا إذا ما كان الوجود وجوباً محضاً لاسلب فيه حيث يحتويه الجوهر، هنا تسقط جميع مكونات الفكر القائمة على لعبة السلب والإيجاب في حركة المادة، كما تسقط المادة القائمة على لعبة الخداع الماكرة وسيادتها للفكر وللحياة.

هنا يتكشف الغطاء عن الحقيقة التي هي مهد الحياة وجنة الوجود، وتتألق المادة من خلال إرادة جوهرية من أجل تجسيد الصورة الإنسانية الحقيقية في الوجود.

قد يختار العصر سياسات مختلفة ومبنية على الاختلاف، غير أن الوعي هو غاية في الاتساع الذي يذيب كل اختلاف 0 ..

.. وفي نظرة عابرة إلى هذا الكتاب قرأت العبارة التالية "الإنسان حيوان يعيش في محيط جغرافي ويعتمد في بقائه على الموارد الطبيعية ومشتقاتها"ويتابع الكاتب قائلاً:

" وبعلوم الاجتماع لأن السياسة هي جزء من حياة الإنسان الاجتماعية متفاعلة مع الأجزاء الأخرى " ص 9

قال الفكر:" الإنسان حيوان يعيش في محيط".هو الفكر الذي أسقط الإنسان من موقع ملاك طاهر، إلى حيوان، وحرمه من المعرفة الحقيقة حتى لا يعرف كنه ذاته.

قلنا في أحد مؤلفاتنا : " الفن هو قيمة جمالية للحركة". لنقل:" إن السياسة هي فن الحركة لكل كائنات الوجود، مبنية على علم الحياة والوجود، فبقدر ما نعلم نستطيع أن نهب الحركة مما يجب من تلك القيمة".

إذاً، لا بد أن تكون السياسة علم ما يجب من أجل تحقيق الواجب، وقد تصبح السياسة أغنى مع جمال المعرفة، لا بل تصبح السياسة قائدة للحياة بكل شموليتها، إذا ما تحققت بالوعي، حينها تصبح السياسة شرفاً عظيماً حيث تكون سياسة بناء الحياة في أسمى معانيها.

إن علم الاجتماع هو المقدمة الأولى إلى علم السياسة، ثم علم الاقتصاد والدين والفلسفة ، والأهم في الأمر"توحيد مناهج العلوم جميعها عالمياً وفي لغة واحدة، قد يكون النواة الأولى لوحدة النظم الإنسانية في نظام واحد، وفي لغة واحدة.

هنا يجب أن يتحقق دخل الفرد الواحد عالمياً فيتساوى الأفريقي مع الأمريكي، والشرقي مع الغربي في ظل جمهورية واحدة ، يحققها الوعي.

إن فشل جميع المنظمات الدولية القائمة حالياً، والتي يقودها الفكر،هي شاهد حيّ على فشل ذلك الفكر.

لنقل: نحن بحاجة إلى المنقذ من هذا الظلال، إنما هو .. الضمير الواحد القائم في أقداس كل منّا، فحين يقود الضمير حركة الحياة، لا بد أن تتحقق غاية الإنسان في الوجود، لأنه ثروة الوجود الحقيقية، ثروة تثري الوجود بجميع القيم الإنسانية التي حجبها الفكر عن الإنسان، وقتل كل من تكلم بها منذ البداية حتى كمال جنبلاط.

فمن هو ذلك الضمير؟وأين هو؟وما هي الوسيلة للوصول إليه؟ لنقل:الضمير إنما هو الجوهري فينا، هو إرادة وجودنا الأبدية والذي يحتوي كل خلية في كوننا، وهو واحد في الوجود، وبيننا وبينه فقط رفع أحجبة الفكر عنه من أجل أن يشرق أبداً ونكون هو.. وهو واحد.

نتطلع إلى التاريخ من أجل أن يكون شاهداً لنا، وليس شاهداً علينا، إذا ما كان قد حقق نظرة لأجله، فمن الواجب أن نستلهم الغد من أجل أن يكون عوناً لنا في اتساع نظرتنا المستقبلية،فنحن قد نبني بيتاً إلى غدنا، لأن بيت التاريخ أصبح متحفاً للذكرى.

إن كل مقدس سوف يصبح أكثر تقديساً حين ننظره بعين الوعي،إذا ما كان الوعي والقداسة واحداً.

هنا لا بد أن يسقط الفكر الذي أسقط الدين، حين يرقى الوعي بالدين الواحد إلى مواقع الإهابة والقداسة حيث هما في تلك المواقع حقيقة.

فلم تكن شعرة معاوية موفقة في سياستها حين وضعت أمة الإسلام بين فكي الشدة واللين،ولم تسمُّ بتلك الأمة الغنية آنذاك إلى مواقع الحضارة الحقيقية،فبقيت تلك العقلية القبلية البدائية القابلة إلى الزوال.

إن غرس الدين في الكينونة والكيان للفرد آنذاك ؛ كان واجباً مقدساً من أجل أن يكون هو الجوهر المحرك للحياة بكل معانيها ، لتحقيق غاية الإنسان في الوجود. إن أهم الأسباب التي أنتجت انقسام الأمة الإسلامية إلى ملِل ونِحل هي،العمل عن ظاهر الدين حسب ترجمة الفكر، وتحييد الإنسان عن جوهره.

فالدين الإسلامي الذي جمع الأديان في بوتقته الجوهرية الواحدة؛كان من الواجب أن يكون للإنسانية جميعها، لكن ترجمته في لغة المصالح والأغرض قد حرم الإنسانية من جوهره الشريف.

يقول الكاتب : " السياسة هي الشرط الاجتماعي الحتمي نحو الحرية " ص 19

نقول : لا شرط في الحرية.

وفي رأينا، لم يكن موفقاً جواب الدكتور حسن صعب في جوابه التالي: " ندرس علم السياسة لأننا بحاجة إلى ثورة منهجية في نظرتنا السياسية، وفي ممارستنا لها، والثورة الحقيقية هي ثورة منهجية. إنها قبل كل شيء ثورة العقل المرتاب في مسلماته الخاطئة، لأننا إذا أحسنّا استعمال العقل استطاع أن يكون المحرر الأعظم للإنسانية... " ص 20

الحق إن قيام الثورة واجب حتمي من أجل التغيرالدائم والتجدد والتطور والإبداع، والثورة في ذاتها لا بد أن تكون تحقيقاً لنظرية شاملة بحجم تلك الثورة، لكنها ليست ثورة العقل في عالمنا هذا ،ولا من عقل مرتاب،ولم تكن مسلماته خاطئة، ولا يُستخدم.

إذا ما كان العقل هو الجوهر المبسوط في الوجود، ولا من عقل غيره، إذاً يكون الكلام عن الفكر صاحب القوة والجبروت.

يقول الدكتور أدمون رباط: "وموطن الخطأ الرئيسي في نظرتنا للسياسة هو أننا اعتبرناها حتى الآن نشاطاً سلطوياً محوره (الحاكم). والنظرة الصحيحة إليها هي أنها نشاط إنساني محوره (الإنسان) . ص 20

السياسة في شرعة العقل الأرفع

أدب السياسة:

يقول كمال جنبلاط :"أدب السياسة هو خلاصة كل نظام وزبدة جميع الآداب، لأن السياسة في معناها الأصيل هي:" إدارة الأشخاص وإدارة الأشياء"،أو بالأحرى علم الأشخاص والكائنات والأشياء ". ص 41

obeikandl.com

حين وضع جنبلاط بوتقة الآداب للحياة، لتصبح السياسة أدباً من آداب الحياة، ومن خلال تلك النظرة نرى واجبنا نحو الأشخاص والكائنات والأشياء، نكون حقاً في مسارنا الفعليّ.

إن السياسة هي " فن الحركة " والفن قيمة جمالية للحركة، وتلك القيمة تنتظم في بوتقة الأدب؛ هنا قد تصبح السياسة شرفاً عظيماً، ورسالة مهيبة للعالم كله.

فنحن لا نأخذ درس السياسة من السيد "تشرشل" أحد أقطاب الحرب التي قتلت الإنسان، إذا ما كان درس المعلم غنياً بأدب الحياة.

جنبلاط والعبارة الشوفية المشهورة " إن سيد القوم خادمهم". ص 43

هنا تتجلى السياسة الحقيقية حين تصبح من أجل الآخر، من أجل الشعب، من أجل الإنسان.

يقول جنبلاط : " الخدمة تعني في مفهومها الحرفي، سياسة الأمور، أكان ذلك في نطاق البيت، أم الأهل، أم المجتمع، أم الدولة، وفي جميع المستويات وألوان نشاط الحياة ..أليست العناية بالجسد وفق أصول طبيعته خدمة؟ أوليست رعاية النفس والعقل، فيما تتضمنه نشاطات متوافقة مع شرعتها الطبيعية، هي أيضاً خدمة؟ وكذلك الحرث والزرع والحرفة والصنعة، وكل ما تعمر به دنيا الإنسان من مواجهات ومهام ووظائف ؟ ... إنها كلها سياسة في القصد الصحيح للكلمة...أما سياسة الناس وإدارة شؤونهم، والحكم بالقصد فيما بينهم، فهي اكتمال وتتويج لإدارة البيت الصغير ولسياسة العائلة، ولنهج المهنة ولمسلك المعاطاة مع الناس في المجتمع". ص 43

جميل ما يقوله المعّلم في ترجمة الواقع بصدق وأمانة، لكن جملة الأشياء التي هي جوهر الأمر، تندرج في عبارة واحد وهي "إن هذا الواقع تحركه مصالح تجهل، والجهل قائم على باطل"، وأن كل أمريء يترجم هذا الواقع حسب مصالحه التي تختلف مع الآخر، إذاً، لا بد أن نكون في واقع يقوده الاختلاف القائم على جهل الواجب الحقيقي في الوجود.

نحن في واقع قائم على التملك بالقوة إذا جاز الأمر، والتملك يغذي ذاتية الفكر، من أجل أن تبقى بوابة الصراع مفتوحة أبداً سواء في داخل الكيان الواحد للفرد ؛ أو بين الناس كأفراد.

إن ما استطاع تحقيقه الفكر هو وضع البشر جميعاً تحت سقف الواقع الذي حدده هو من أجل مصالحه ورغباته، حتى يبقى الإنسان منحنياً تحت سقف لا يصل هامته.

والذي نريده نحن هو رفع هذا السقف كلياً، من أجل تحرير الإنسان من الخضوع أبداً ، إذا ما كان من روح الله ، والله في صميمه، وهو بالله يرفع كلمة الله ويرقى بها.

حين يعلم الإنسان أنه كوكب درّي ينير الوجود بالعلم والمعرفة والوعي، سوف ينعتق من قود الفكر ، ويعي أنه من روح الله صدقاً ، والله هو الحرية المحضة، ومن نور إرادته العلية تشرق شمس الحرية الأبدية.

أنت في مطلق الحرية يا أخي حين تنعتق من الأخطاء والأغراض والمصالح، أنت حرٌ يا أخي حين تغتسل من أوحال الفكر وتصبح وعياً في عالم يعي ماهيته وماهية وجوده.

حين كتبت كتاباً عن الطب البديل، علمت أن الجهل هو المرض، وأن في العلم صحة، علمت أن هذا الجسد الإنساني هو من صميم حركة الوجود، وأن الإنسان يجهل والجهل قائم على معانات هذا الجسد الذي به ومن خلاله يصل الإنسان إلى الغاية التي ينشدها .

إن الوجود حركة، إلى الأغنى والأمثل ، والكل متجدد أبداً، ولا وقفة في وجود غائي، ولا وقفة لإنسان ينسجم بكل كله مع غائية الوجود حين يعي أنه من واجب الوجود، لتصبح الحركة في ذاتها ، حركة شوق تنشد الغبطة، غبطة تنشد غبطة أغنى.

هنا نرى أننا نعيش خارج الحياة الحقيقية، نعيش في قفار جهنمية قد وضعنا فيها الفكر ونهانا عن التعدي. إذاً ، نحن طلاب فكر حرمنا من رسالتنا

الإنسانية، حرمنا من إحراز شهادة واحدة في علم الحياة، و وهبنا شهادات في علوم التملك بالقوة، والقوة هي هي التي أخبرتنا في لسان التاريخ والواقع أنها " شريعة الغاب".

يقول المعلم: "ولا مفر لنا من تقرير نظام شامل للأجزاء وللكل، في جميع مراتب تجلي باطن الوجود في ظاهره... ولا شك أن العقل هو قائم في جميع المسارات والنشاطات، وهو تقدير ظاهر في كل ما نشهد وما نرى، ولولا مُثُل المقادير للعقل في جميع ألوان مساراته لما كان بالإمكان ظهور العلم، ولما كانت شُرعه وقوانينه الثابتة ... وفيما عدا ذلك، وباستثناء هذه القوانين والشرع – وهي عقل كل شيء – لا يوجد شيء ثابت على حاله في التكوين الظاهر ... بل الكل يتحرك، وكأن الحركة هي وحدها الوجود الظاهر الحقيقي ولا شيء سواها... وإنما الوجود الظاهر مسارات لبنى ترتفع ثم تنهدم. وهكذا على الدوام ". ص 45

صدق المعلم جنبلاط حيث أتى على جوهر الأمر، لكننا نرى أن هذا العقل الذي تكلم عنه ليس هو عقل **الوجود الجوهر ذاك الذي من خلال وعيه يتجلى مكنون الوجود** على أكف الوجود، لقد تكلم جنبلاط عن عقل ديكارت الذي جمعه ذاك العبقري من أودية أفكاره.

نحن نتصور أن عقلاً جوهرياً شاملاً لصفات الخير كلها، يجهله كل من لا يعي واجب الوجود الحق، وهل من يعي واجب الوجود الحق؟ إذا ما كان الوعي إرادياً، غائياً، جوهرياً ، من أجل أن تتجلى روح الحياة الجوهرية.

فالوجود الظاهر ليس سوى غطاء للوجود الجوهرالذي يحرك الوجود الظاهر من صميمه، فالحركة، إنما هي حركة شاملة، ومحركها في صميم هذا الوجود.

يقول المعلم:" بل، بالحقيقة، ما من شيء أو كائن له مستقرّ في تجواله وتبدله سوى ذلك السكون والسلام الأخيرفي صميم المادة الهيولية التي تعود إليه وتتحلل فيه جميع الظواهر، وتفنى جميع الأشكال والصور، أو تحجب فيه مثالاتها الصور إلى حين، يوم تنقضي فيه دورة الدور، وينطوي كل شيء في سجل باطن الطبيعة".ص 46

بلى، "ما من شيء أو كائن له مستقرّ في تجواله".حيث إن الكون في سفر، سفر الوجود بذاته الكلية، إلى ذاته المطلقة. ولما كانت الحركة دائرية، لا بد أن تكون سرمدية. وحين تكون الحركة غائية لا يوجد فيها السكون، إذا ما كانت حركة بسط وغبطة.

وتنقضي دورة الدور مع زوال الفكر، حيث تنطوي مادة الفكر والفكر أيضاً مع سمو الحركة من الهدف المادي، إلى الغاية الجوهرية لتصبح حركة إرادية سرمدية.

يقول المعلم:"وهكذا يتخذ مفهوم النظام الطبيعي للأشياء والكائنات معنى متحركاً في سياق التبدل الكوني، هو ذاته مفهوم الحكماء والفلاسفة اليونانيين والشرقيين، ومفهوم الجدليين المعاصرين هيغل وماركس وانجلز عندما نعود بهم إلى الينابيع التي

استقوا منها بذور أفكارهم ومبادئهم...وهذه النظرة هي طبعاً مخالفة لمعنى الجمود والثبات التي كان يتصورها في النظام الطبيعي– الإلهي على حد تعبير بعضهم–معظم فلاسفة واقتصادي القرون الوسطى، وما بعدها، في أوروبا". ص 47

إن نظام الوجود مبني على دقة لامتناهية وشمول تام،وحركته حركة تطور وتغير واستحالة، ولا فناء فيها، إنما هي حركة إرادية غائية لا يعرف حقيقتها فكر.

إن نظام الوجود يتجلى كإرادة كونية لكل من يعي تلك الإرادة، والذين الحركة في ناظرتهم الحسية، لا بد أنهم رأوا مظهرية الوجود فقط.

فالطبيعي،إنما هو مادة الوجود الظاهرة للعيان،والإلهي هو الجوهر المحرك لتلك المادة من ثبات مطلق،ولا من جمود في الحركة الدائمة والمتغيرة بشكل مستمر.

إن أدب السياسة حسب المعلم " هو استيعاب جميع العناصر والاتجاهات التي يؤلف تضادها وتفاعلها واجتماعها وتعاقبها ما يمكن تسميته بالظواهر السياسية ...

obeikandl.com

فالسياسة علم وفن في آن واحد كما هو حال الطب تماماً..فهناك قواعد وشرع في الطبابة ثابتة، أو مماثلة ، ولكن تطبيقها على المريض يقتضي الكثير من التبصر والمهارة والحدس والتخمين والتحليل، لأن ما من مريض بعلة معينة يشبه تماماً مريضاً آخر تنتابه هذه العلة نفسها". ص 53

إن هذا الاستيعاب الذي يتحدث به المعلم، إنما هو بالحقيقية " وعي" فحين يقود الوعي جميع أغراض الحياة، يحررها من التبعية والهدف، ويرقى بها إلى الحرية في عالم الغاية الذي يحقق غاية الكل معاً.

لقد أفل نجم ذلك العصر، بعد أن شاخ وهرم وتعداه واجب الحياة، والغاية من تحقيق ذلك الواجب، هنا تصبح السياسة وعياً يحقق واجب الحياة الحقيقية، وليست تلك التي يعبث بها فكر الإنسان وذاتيته المفرطة.

لن تستطيع التغيير ثورة قائمة على مفاهيم المصالح والأغراض ، كونها تعلمت لغة المصالح والأغراض، وقادتها تلك القوة التي خرجت بتلك المفاهيم.

فمن آلاف السنين والبشر يدفعون الحياة إلى الأمام، يدفعونها بآلة الفكر، الذي لم يستطع تحقيق واجب الحياة بالصدق مثلاً ، وكأن الكذب قد أصبح من أهم مرتكزات الواقع البشري، فإلى أين يذهب المجتمع البشري بتلك المفاهيم إذاً؟

هنا يأتي المعلم جنبلاط على غاية البحث فيقول: " وفي الحقيقة هناك ثلاث نوازع أساسية وجوهرية للإنسان – لكل إنسان– ومنها تتفرع النزعات أو الرغبات أو الإرادات الأخرى :

أولاً – نزعة الديمومة وتوق الإنسان إلى الخلود الشخصي من خلال إبداعه للفلسفة والدين وشغفه بهما ... " وكيف يمكن لهذه البنى جميعها أن تكون خالدة ، أي أن تتعدى الزمن، وهي بطبيعتها المحدودة بالزمن ".

"رغبتنا بألا نموت تنبع عميقاً من الأتمان– أي حقيقة الإنسان الجوهرية– التي لا يلحقها موت ".

والخدعة الكبرى أن نطلب الديمومة لكل متبدّل بدأ في نطاق الزمن وسينتهي حكماً في نطاقه أيضاً ...

ثانياً - نزعة السعادة... ونطلبها أيضاً في العالم الخارجي، وفي تقصي الفكر، وفي التعبد، وفي كل شيء...ولولا السعادة وطلبتها لما تحركت فينا جارحة وتوجه حسّ... وكأن السعادة هي في صميم التكوين" ...

ثالثاً - نزعة الحرية، وهي لا تنفصل عن العقل وتكوينه وصيرورته..." ص 55

لنقل: إن القيود التي فرضها الفكر على الحياة، قد أثقلت كاهل الإنسان وأرهقته، فالديمومة والسعادة والحرية سبلهم واحدة وهي الوعي وترّ الخلود، صداه فينا، وعزفه فينا، ومعزوفته جوهرنا الواحد المتجلي أبداً.

فالتوحيد الذي هو غاية الوجود وغايتنا، يتحقق بالوعي الذي يتعدى عالم الفكر هذا، عالم القيود المتجذرة في كل شيء، يتعدى الزمان والمكان.

إن ما يبسط السعادة الحقيقية في الوجود هو أن تكون المادة وسيلة وليست غاية، إذا ما كانت الغاية هي الوعي ، من أجل أن يعقل الإنسان واجبه في الوجود ، الواجب الذي يتناغم مع واجب الوجود ، والذي لا يمكن عقله إلا بالوعي.

فقد قلت في كل مؤلفاتي "إن السعادة هي وعي يحقق مسار الغاية من الوجود ". ومن ينتظر السعادة في جهنم الفكر هذه، قد يخسر السعادة والسيادة والحرية والوعي، ويخسر ديمومته الجوهرية التي لا ولن تتجلى إلا بنور الجوهر، بنور الوعي، بنور العقل السيد الحقيقي للوجود الحرّ.

إن السيادة كلية في عالم العقل، حيث ينعتق الوجود من جميع القيود000 السعادة كلية في عالم الوعي حيث يسمو المرء ويرتقي إلى عالم الحرية الأبدية، حيث يعي كل منا أنه سعادة في ذاته، حين يصبح بالإرادة أبداً حياة، أبداً وجود، أبداً حقيقة، حين يعي أنه هو من صميم الجوهر المحرك لقانون الطبيعة ... فيذوب الزمان والمكان وتتجلى الأبدية والخلود.

ومن يطلب السعادة الحقيقية بواسطة أوحال هذا الفكر، عليه أن يعلم أنه يطلب البقاء من الفناء، وهذا لا يجوز.

ألم يقل جنبلاط في كتابه ثورة في عالم الإنسان ص 157 : " علينا أن نفتش عن الإله المجهول فينا ". بلى ، إنما بنور الجوهر، وليس بأوحال الفكر.

وفي مقدمة كتابنا " الإنسان والوعي " أتينا على هذا الموضوع بهذه العبارات:

- إذا ما تحققت الأغراض كلها بالوعي، فالوعي يحررها.
- وإذا ما تحررت الروح من أصفاد الفكر، تتجلى الحقيقة.
- وإذا ما رُفع الحجاب ، يتجلى الجوهر.
- وإذا ما ذابت قيود الجهل في نور الوعي تتجلى الحرية.

لا شك أن جمال الحرية يتصور مع جمال الوعي.

يقول أتمنندا ألمعلم ، الذي ترجم معلمنا جنبلاط كتابه الفريد بعلوه وجماله:"أنا لست فكراً وليس لي فكر..أنا وعي طاهر لا يعرف التبدل ولا يعرف الزوال"ص 49

ويقول: " المعرفة عندما تكون غرضية، تصبح فكرة. وإذ ذاك فإن " الأنا" تبقى كالشاهد على الفكرة ." ص 54

ويقول أيضاً : " إذاً وبمعنى أدق، لا يوجد فكر. يوجد فقط وعي، وفكرة الزمن هي محض افتراض سببه الخداع" ص 42

إن المعلم أتمنندا يشهد على صحة نظرتي،وقد خطها المعلم جنبلاط على صفحة ذاته وعلى صفحات كتبه من أجل أن نلتقي جميعاً في حدائق الوعي، إذاً، أتمنى أن نلتقي جميعاً على ينبوع الحقيقة ، وهذا ما يبسط ذاتي بسطاً أبدياً. فقد كانت العبارة الأولى في مقدمة كتابي "ضياء العقل" عالم العقل هو شاهد على عالم الفكر،إذا كان عالم الفكر هو القائم بالفعل، وإذا حضر عالم العقل ، غاب عالم الفكر ". وحسب ما أرى ، ليست الأنا هي الشاهد على الفكرة ، إنما هو العقل " جوهر الوجود، المبثوث بكل ثناياته، والذي يحركه من صميمه ، هو الشاهد على كل فعل يقوم به الفكرعلى مظهرية الوجود.أي أن الجوهر شاهد على المادة كونها عرضية بفعلها العرضي.

" فحيث لا توجد الحرية ، يظل الإنسان خاضعاً لأبشع ألوان الارتهان، ألا وهو قيام وصي على عقله... ".

"إن الرغبة بالحرية تنجم في أسبابها ومصدرها من الأتمان–جوهر حقيقة الإنسان الذي هو الوجود الوحيد غير المشروط وغير المقيّد". ص 56

في محاضرة لي أقمتها في المركز الثقافي بمدينة السويداء، أتيت على هذا الموضوع بقولي هذا: " إن السيادة الحقيقية لا يعرفها فكر، لأنه مبنيٌّ على القوة التي تقهر السيادة، فكل حاكم خاضع،وكل محكوم خاضع، وكل خاضع خائف، وكل خائف هو تحت قيد العبودية".

والذي أراه هنا، أن الرغبة والحرية لا يجتمعان في موقع واحد أبداً، فالحرية، هي نتاج الإرادة،والإرادة هي عقلية غائية منسجمة مع حركة الوجود في شوقه وهيامه.

" فالفكرة القائلة بأن الديمقراطية يجب أن تلتزم بما يريده الشعب ويبتغيه ويشتهيه أحياناً هي فكرة خاطئة00000وكم من قائد قد اضطر مراراً إلى الوقوف في وجه ما يطالب به الشعب ويظن فيه مصلحته،ويكون في الواقع مضرته أو هلاكه".ص 59

لنقل: إن مصدر جميع الأخطاء التي أتت على قيم الإنسان كلها مصدرها الجهل الذي جسدّه الفكر من أجل تحقيق أغراضه ومصالحه، إذا ما كانت جميع الحكومات التي أقامها الفكر، قد حكمت على شعوبها بالجهل، خاصة في المجتمعات الفقيرة، من أجل نهب ثروات شعوبها، وأن حكومات المجتمعات المتقدمة حضارياً، قد حرصت على بقاء شعوب العالم الثالث متخلفة من أجل استثمارها بجميع السبل، فهذه سياسة الفكر عبر التاريخ والعالم.

إذاً ، قد تتحقق الديمقراطية من خلال وعي الشعوب وليس من خلال المصالح، إذا ما كانت المصالح مختلفة، والاختلاف يجلب الصراع الذي يستقدم الحرب.

لنقل: كفى تلك الإنسانية ويلات ومحن في نظام لعبة الثعالب والثعابين، فالحاجة قد أصبحت ملحة إلى العلم الحقيقي، والمعرفة الحقيقية، والوعي الحقيقي.

نحن لا نريد نخبة تحكم الجهل بالعصا، بل نريد عِلماً يحرر الإنسان من كل حكم، نريد عِلماً يغسل موبقات الفكر وتاريخه عن جسد الإنسانية وروحها الجوهر، نريد عِلماً يصنع فينا إرادة الحياة الأبدية، نريد علم الأبدية والخلود.

في أدب السياسة يرى جنبلاط " إن السياسة مسلك شريف، لأن لها علاقة بقيادة الرجال وتوجيههم 0000 وأول شرط للسياسي أن يكون متجرداً عن الهوى ..

ولذلك قيل في الحكمة التوحيدية " طالب الولاية لا يولّى".(لأنه يكون له هوى أو مصلحة في ذلك). ... " ولا ينبغي للقاضي أن يجلس للقضاء وهو غضبان أو نعسان، أو جائع أو عطشان،أو خائف أو مشغول الفكر. ولا ينبغي لأحد أن يسأله حاجة ، فإن الحقوق ليس فيها شفاعة ..."لُعن القاضي الذي يحابي أحد الخصمين بكثرة النّظر، وحضور الذهن، والاهتمام به دون الآخر. ..... الخ" ص 64

إن سيطرة رأي القلة يبدو واضحاً عبر التاريخ حسب شري أتمانندا حيث يقول:

" هل يمكن تحقيق الديمقراطية عمليّاً؟ - لا؛ إنكم قد تقولون إن الأكثرية هي التي تحكم في عالمنا المعاصر. ولكن إذا حلّلتم الوقائع بتجرد وموضوعية ، تجدون عملياً وفي كل بلد ، أن القلة هي التي تحكم الكثرة وأن هذه القلة يقودها ويرشدها فرد واحد ، إذاً الديمقراطية هي عملياً أسطورة ". ص 73

" ومرة أخرى نردد مع الناصري : " إذا فسد الملح فبماذا يملح". أو مع الآية الكريمة : " إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم". ص 74

" فالأعمدة التي ترتفع عليها الديمقراطية هي أعمدة النخبة القادرة السليمة.وما من شك أبداً في ذلك." 76

ويرى جنبلاط أن قاعدة الإبداع هي التنوع لا المساواة، على أن يكون التنوع ملتزما بالوحدة ، وفق المبدأ الذي لم تبدّله ولا تستطيع ذلك لا الإيديولوجيات ولا العقائد : " التنوع ضمن الوحدة". ص 74

الحقيقة حسب رؤيتي"أن الفقير يرى الغني أحياناً لكن الغني لا يرى الفقير أبداً" إذاً ليس أمام المجتمع الإنساني سوى المساواة ، وسبيلها إنما هو " الوعي " ، فالوعي يلغي المسافات التي صنعها الفكر بين البشر،ويغسل الجميع من كل فارق أو اختلاف.

" ألم تفشل الشيوعية والإشتراكية نسبياً في عصرنا ، في بناء الإنسان والمجتمع المتكاملين لأنهما لم يأخذا بعين الاعتبار القيم الإجتماعية والمعنوية والروحية والإنسانية الدائمة " ص 77

obeikandl.com

لا بل فشل الإنسان في قدرته على الافتراق عن أغراضه ومصالحه، فشل في وعي الشيوعية على أن المادية والمثالية يصلان إلى الكمال الإنساني في نشدهما ،ولا يختلفان إلا بالوسيلة.

فعلى البوابة الفاصلة بين برلين الشرقية وبرلين الغربية تتجمهر المغريات الوافدة من الغرب متحدية قدرة احتمال الديمقراطيين في الشرقية ، وهكذا على كل تماس بين الشيوعية والرأسمالية. فحين علم الفكر أن الشيوعية سوف تهدمه كفكر.. فهدمها.

إبراهيم بن أدهم قد تخلى عن كل الأغراض من أجل خلوده في ضمير الحياة، وقد مات كل الذين لم يتخلوا عن تلك الأغراض، فلمن ننسب ذاك الملك الشاب؟

كان بإمكان المجتمع البشري أن يضيف اللازم وأن يلغي الذي لا يلزم في تلك النظرية مع أن العديد من الفرق الإسلامية كالقرامطة مثلاً ، وكثيراً من المجتمعات و بالأخص في عصر الإسكندر المقدوني كانوا على قدر كبير من تحقيق نظرية كهذه.

فقد كان المرحوم والدي يقول: " فتْ الشبعان على الجوعان فتٍ بطيء" وهكذا عالم اليوم قد يتحرك بوسائل العون إلى الذين يموتون جوعاً، إنما بعد وفاتهم .

هتلر قال بلسان غوبلز: " الديمقراطية نظام سلطة مرتبط بالشعب" وكم قتلت ديمقراطية ذلك السفاح . ص 93 مع التصرف.

العلامة الأستاذ لفور في كتابه " معضلات الحقوق الكبرى "ص 53 يلاحظ : " أن الديمقراطية في شكلها الحالي هي مفهوم حديث. وفي الحقيقة أن الأسس الأولية للديمقراطية الحديثة هي:

1 - حرية الإنسان في المعنى الحالي لهذه الكلمة .

2 - المساواة الطبيعية أو الجوهرية.

" إن لكل بشري، حراً كان أم مسترقاً، يونانياً أم بربرياً، يهودياً أم وثنياً، نفساً خالدة، وضميراً مستقلاً عن كل سلطة بشرية. فالبشر جميعهم إذن يملكون مساواة طبيعية جوهرية دون أي تمييز لعنصرهم أو لجنسهم. هم متساوون أمام الله أبيهم المشترك هذا هو الأساس الحقيقي في المسيحية للمساواة بين جميع البشر". لفور

إن تعريف المعنى الحالي للحرية، هو أقل من معنى الحرية، إذا ما كانت الحرية وعياً يعتق الإنسان من جميع القيود، فلا حرية بلا إرادة صانعة، ولا إرادة بلا وعي. إذاً، فمن أجل الحرية، يجب أن نعي الحرية.

وكان يجب أن يبدأ في القول : إن لكل بشري حق الحرية ، وهذا الحق يهبه المساواة. لأن الحرية تُلغي التملك، إذا ما كان التملك عبودية. لأن جوهر الإنسانية واحد، وضميرهم واحد، منهم مَن يعيه، ومنهم مَن يجهله. ملاحظة : أعني بالتملك أن تقود المادة الإنسان وتحرمه من إنسانيته، والوعي يحرر صاحب الأموال من التملك.

وليس صحيحاً إعلان برغسون " أن الديمقراطية الحديثة هي جوهر إنجيلي وأن محركها هو الحب لا الإلزام أو بالأحرى الإلزام المحب ". ص 96

كيف نقول عن تلك الديمقراطية أنها جوهر إنجيلي، والجوهر الإنجيلي لا يقبل التملك "دع الموتى يدفنون موتاهم واتبعني" و "لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً. ومن يزرع للروح يحصد حيوات أبدية" بولس -8

إن الديمقراطية المعاصرة قد جمعت إمكانات البشر جميعاً ووضعتهم في خدمة فكر يمتلك أعناق الشعوب.

لكن المغالطة الكبرى في قول برغسون هذا : " إن الديمقراطية (عنصر توحيد محض عقلي" ص 96

إن هذا الخداع لا ينطوي على عاقل ، إذا ما كان عالمنا هو عالم فكر، والعقل شاهد على موبقات ذلك الفكر القائم بكل تناقض وتضاد وصراع وحرب في تاريخ عالمنا كله.

إن العقل نقطة بيكار الدائرة الكونية ومحركها من ثبات جوهري إرادي يجهله الفكر الذي من آخر مبدعاته صنم ديكارت العقلي.

يقول برغسون وذلك بعكس أنظمة القوة والعاطفة والتقليد، وهذا النظام " يتحقق في طاعة إجماعية ومحض اختيارية لتفوق في الذكاء وفي الأخلاق"

وهو الذي قال أعلاه:"إن الديمقراطية جوهر إنجيلي وأن محركها هو الحب" والحب عاطفة، والواقع إنما هو تقليد بقيادة الفكر المبنية على القوة .فأين الخيار إذاً؟إذا ما كان الخيار مبني على الوعي، والواقع يجهل، وأي ذكاء في تجويع العالم جله، وأين الأخلاق أيضاً ، إذا ما كان التاريخ بمجمله مدرسة حربية فائقة القوة ؟ إذا ما كان العالم الأخلاقي يخسر يومياً حوالي أربعة مليارات دولار أمريكي من أجل قتل البشر حتى في غياهب أفريقيا؟؟

ويصل بنا المعلم كمال جنبلاط إلى روح الديمقراطية ليقول:"والآن وقد أوضحت لكم أسس الديمقراطية الصحيحة، فاسمحوا لي أن أنوه عن روح المحبة والعدالة التي تغرسها وتنشرها الديمقراطية الصحيحة، في تكوين الفرد والمجتمع: .. ففي المجتمع الواعي ديمقراطياً تسيطر روح من التفهم العميق لقيم الشخصية البشرية والمصلحة العامة والحق الطبيعي لا أجد لها بياناً أجمل من هذه القاعدة التي عبّر عنها الإنكليز منذ مئات السنين بقولهم:

" القانون هو أعلى ميراث يملكه الملك، لأنه هو نفسه وجميع رعاياه يحكمون بالقانون، وإذا لم يكن قانون فلا ملك ولا وراثة".

نرى جمال الكلمة والمعنى فيما يقوله المعلم، إنما الذي أتوق إليه هو"أن نعي غاية وجودنا المرتقية عن المصلحة" فالمصلحة تسيطر، إنما **الروح الجوهرية هي في علو عن السيطرة لأنها جوهر مطلق الحرية" والمعلم يعلم ذلك.**

إن قانون الإنكليز قد خدمهم وظلم الآخرين الذين نُهبت بلادهم تحت مظلة ذلك القانون. فالقانون العادل هو" الذي يحرر من الظلم وليس الذي يظلم"

ونعود إلى المعلم الذي يخبرنا عن القانون الإنكليزي حيث يقول: " ودعوني أعيد عليكم تعريف المشرع الإنكليزي (ديسي) " لحكم القانون " هذا الذي يفتخر كل بريطاني بأن يتمتع به في بلاده :

1 – هو السيادة أو الغلبة للقانون المعتاد الذي يتعارض مع السلطة الاستبدادية، إن الإنكليز يحكمهم القانون وحده.

2 – والمساواة أمام القانون أو تساوي جميع الطبقات في الخضوع لقانون البلاد المعتاد الذي تطبقه محاكم البلاد المعتادة". ص 98 .. لقد فشل الإسلام في تحقيق الحضارة المرجوة في عصر نهضته، ونجح الغرب في تحقيق حضارة أقامها على هامات مستعمراته، هنا يصبح القانون لعبة الشاطر.

وقد حقق الغرب تقدماً رهيباً في تقنيته العلمية، وحقق الغرب تقدماً عظيماً في مجالات الحياة المادية الأخرى، خاصة التزامه بالقانون، واحترامه له.

يقول المعلم: " فالبريطاني متدين في عاداته الاجتماعية وفي معتقده وروحيته - ولكن فوق كل شيء ترتكز هذه النظم وهذه الديمقراطية على أساس واضح ونير من الثقة : الثقة بالنفس والثقة بالمثل العليا والثقة بالأمة. وبذلك يقول الأستاذ الكسندر:

" أما الدستور الإنجليزي فإنه يدع كل جيل حراً في أن يشرع لنفسه. ذلك أن الإنجليز على استعداد لأن يثقوا بالأجيال المقبلة. والحق أن الدستور البريطاني كله تسوده روح الثقة والحرية، " ص 101

ويورد المعلم فقرات من خطاب ألقاه القاضي لنردهاند في سنة 1945في جمع غفير إذ كلف هو بتولي قيادة 150000 من الذين تجنسوا حديثاً بالجنسية الأمريكية في حلف يمين الولاء للعلم:".. وماذا نعني حين نقول إننا ننشد الحرية أول ما ننشد؟ .. وما هي هذه الحرية التي يجب أن تعمر قلوب الرجال والنساء، إن روح الحرية هو ذلك الروح الذي لا يبلغ من يقينه أن يعتقد أنه على صواب. روح الحرية هو الروح الذي يحاول أن يفهم عقول الآخرين من رجال ونساء. روح الحرية هو الذي

يضع مصالح الغير في كفة ميزان،ومصالحه هو في كفة بغير تحيز. روح الحرية يذكر أنه حتى العصفور لا يسقط على الأرض دون أن يعبأ به أحد"ص 102

إن روح الحرية هو الوعي،وعي الحرية أنها حرية الروح،وأنها ليست خاضعة، فحين نتكلم عن الحرية، يجب أن تُلغى جميع الأغراض والمصالح،لأن عالم الحرية لا يدنسه شيئاً.

قال سقراط : " الحرية هي الالتزام". هو يعني حرية الحركة المادية. لكن معنى الحرية لا يتجلى إلاّ بالوعي كمعنى في هذا العالم، وهذا المعنى مبني على التساوي المطلق المتحقق في الضمير، فالتمايز نسبي، تذيب نسبيته حركة السمو نحو الكمال الذي هو في ذاته الجوهر.

إن الحرية في روحها حلم لا يتحقق في عالم الفكر، لأسباب جمة أهمها:

- الحرية لا ترى الفكر،إذا ما كانت هي من عالم الوعي المرتقي عن الأغراض.
- الحرية لا يعرفها فكر حركته مادية خاضعة إلى رغباته،ورغبات المادة خليلته.
- الحرية، إنما هي عالم الإرادة العقلية الغائية المنسجمة مع غائية الوجود.
- الفكر هو المحرك إلى عالم المادة بواسطة القوة المادية الفاعلة والمنفعلة حسب الغرض والمصلحة والحاجة. ونتاج حركته هي القهر.
- الحرية ثبات جوهري لعالم فسيح متسام عن الحدود والقيود والإنفعال.
- الفكر قائم على التناقض المحدث من خلال حركته المادية المنفعلة بما يستهويها من الأغراض، ورغبة المادة وما يشغلها من الذاتية الجاهلة المواجهة إلى رغبات الفكر.
- الحرية هي الشاهد على كل فعل وانفعال بين المادة والفكر قد أوصلا العالم إلى صراع حقيقي، وإلى حرب حقيقية .
- إن معركة المادة والفكر المستديمة قد شغلت عالم الأرض عن واجبه الفعلي في تحقيق إنسانيته الخلاقة، وبناء جنته المباركة في هذا الوجود.

- وفي النهاية نرى أن الحرية هي " الانعتاق من جميع القيود ،لأنها وعي" .
والفكر إنما هو " جملة القيود القاهرة لإنسانية الإنسان".

نزعة الديمقراطية الجديدة

يترجم جوزيف ديفيس سعادته كأمريكي في قوله التالي:

- نملك الحرية والإستقلال الشخصي.
- نملك الحق في حرية الكلام.
- نملك حق الإجتماع بهدوء وحق الجمعيات.
- نملك حرية الفكر.
- لنا الحق بأن نعبد الله كما يمليه علينا ضميرنا .
- حريتنا ، حياتنا ،حقوقنا جميعها مصونة ومحمية حتى بوجه الدولة".ص 104

إن ترجمة ديفيس لم تكن موفقة كونها قائمة على التملك، فحين يقول: أنه يملك الحرية ، فهو يخبرنا أنه وضع قيد الذاتية في عنق الحرية.

نحن نريد أن نرفع قيد عن كاهلنا المتعب من كثرة القيود التي تتملكنا. إذا ما كانت غايتنا تحقيق الحرية من خلال السمو إلى موقع من المعرفة والوعي نكون فيها معتوقين من أغلال معينة.

إن الحياة في سمو حسب ديالكتيك هيجل " تطور الفكر التلقائي" لكن تلقائية هيجل لا تفي بحاجة الإنسان وتوقه نحو السمو والارتقاء.

فحين نهب الحركة قيمة معنوية غنية بالمعرفة ، لا بد أن ترقى تلك القيمة إلى مواقع سامية يصبح فيها الإنسان سيد وجوده.

ونعود إلى المعلم جنبلاط الذي يقول في محاضرته تحت عنوان " رسالتي كنائب: "إن الديمقراطية ،كما أوضحتها ، هي صورة لمدنية معينة ، هي أحد مظاهر هذه المدنية ،لا تنفصم ولا تنفصل عنها 00إنه يصعب علينا التصور أنه ستقوم في العالم مدنيات ترتكز إلى غير الأسس العلمية وإلى غير الحقوق الطبيعية والحقائق البشرية التي أبرزتها إلى الوجود مدنية الغرب. إذن ففي الجوهر لا يمكن لمدنية أن تنفصل عن تراث بشري غني وخلاق وحقيقي،

obeikandl.com

لكي تبدأ نهجاً آخر في حياة البشرية. فالمدنية، في جوهرها، لا يمكنها إلا أن تكون واحدة، لأنها صورة وانعكاس للحقيقة، على تنوعاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، في الخلق وفي الوجود. والحق واحد والإنسانية واحدة في جوهرها". ص 110

وتحت عنوان قافلة السياسة، عندما يتنزل حكم المماليك على الطريقة البيروتية، يقول المعلم: " فالمملوك – وليست هي الإدارة، ولا الأكثرية النيابية ولا المصلحة العامة طبعاً – هو ركيزة الحكم.. وعدد المماليك يتفرع ويتنوع ويزيد كلما طالت الإقامة في الحكم، فيضج الناس من تحكم الوساطات وغلبة الأخذ والعطاء في المعاملات العامة – وكأن مصالح الناس العامة والخاصة أصبحت سلعة تحجز وتمنح وتتقيم ولها بدلات - وتهيمن روح الأكثرية وتملك المحسوبية، ويتحكم هوى النفس".ص 119

يرى المعلم كمال جنبلاط، أن إصلاح الواقع يجب أن يبدأ من الواقع. لذلك قال عنه الأستاذ عفيف السراج: "كمال جنبلاط الرجل الواقعي المثالي". قال عنه ذلك في كتاب ندّر مثيله من حيث الجوهر.

لنقل: إن مجتمعاً لا يقرأ، هو مجتمع لا يعلم، والمجتمع الذي لا يعلم، لا بد أن يكون مجتمعاً يجهل، والجهل قائم على باطل، إذن، لا بد من القول: إن مجتمعنا قائم على باطل، ولا يمكننا إصلاح الباطل في الباطل.

إذن، ومن أجل الاغتسال من تراكمات الباطل المتجسدة عبر قرون خلت، لا بد من تغيير ذلك الباطل بالعلم والمعرفة والوعي، بالحب والسلام والأمان والإيمان، بالصدق والخير والوّد والعطاء، بالجود والطيب والمعزة والألفة والوئام، بالرضاء والقبول والصفح والنبل والمثل والقيم والأبعاد الإنسانية الخيرة جميعها.

لتكن هذه السمات النبيلة من صلب مناهجنا التعليمية والأدبية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والروحية والرياضية والفنية، لتكن هذه السمات المُثلى منهجنا في الحياة، لتكن طعامنا وشرابنا وتفكيرنا وتطلعاتنا وتأملاتنا وأحلامنا وأمانينا ورجاؤنا ورجوتنا في السرِّ والعلن، والحلم والحقيقة نقسم عليها

obeikandi.com

بكل شاردة فينا، نقسم عليها بالله والضمير والشرف والعرض والكرامة والوجدان، من أجل أن نحيي قيمنا التي باتت في سبات من جراء تعديات الزمن وأحجبة الفكر.

من أجل أن نحيي المقدّس فينا؛ يجب أن نقدّس المقدّسات جميعها سواء في المكنون أو على مظهرية الوجود، حتى تتجلى قيمنا الإنسانية من مكنون جوهرنا الواحد.

إن جميع تلك المناهج الحالية، قد أفرغها الفكر من كل محتوى، فأضحت خاوية لا قيمة معنوية لها، أفرغها من محتواها الجوهري، فأصبحت مادة جافة دنيّة لا قيمة ولا معنى لوجودها، وقد أفرغنا هذا الفكر من محتوانا الإنساني، وبهذا أصبح الإنسان من أرخص السلع على الإطلاق، أصبح الإنسان جسداً بلا روح.

إن غايتنا هي العلم عنّا أيضاً وليس عن سلع السوق فقط، فقد غصّ السوق بتلك السلع الرخيصة حتى امتلأ الإنسان كهيكل ولم يعد يتسع، مع أنه يحتاج فقط إلى لقمة خبز فيها نفحة من حب أهله ووطنه وإنسانيته، وحب الخير والصدق والعطاء.

نحن في عصر الغزو الرهيب "غزوّ الفضاء على حساب لقمة عيش البشر، غزوّ الطبيعة بكل أسلحة الدمار تحت عنوان الصراع الأرعن مع الطبيعة، غزوّ الذات الإنسانية من أجل إخضاعها إلى القوة الغازية. والغزوّ على مستقبل الإنسان بجميع سبل الكذب والدجل. والأهم هو غزوّ الجوهري في الإنسان بكل السبل.

من أجل ذلك راح إنسان العصر هذا، راح يستغيث بالماضي التليد؛ ماضي العزة والكرامة يوم كان يأكل خبزه النظيف بعرق جبينه النظيف مع حنان نور الشمس الدافئ، أو تحت عيني القمر، أو نسمة الغروب العاشقة روح الحياة البريئة من عيوب التقنية الحديثة. فنحن نتفق مع المعلم، حين يتفق معنا بواجب التغيير، لأن الإصلاح لا يجدي بعد أن وصلنا جميعاً إلى زاوية مظلمة سوداء لا نتبين منها السبيل إلى أين.

نعلم فقط أننا وسيلة يتحقق بنا أغراض ومصالح ليست لنا ، وليست لأجلنا، بل هي غريبة عنّا ، فنصل إلى نتيجة واحدة هي " أننا غرض في الحياة فقط " مع أننا نرفض أن نكون غرض الحياة ، بل نرفض أن يُطلق علينا صفة الغرض ، إذا ما كنّا جوهر الحياة وروحها وضميرها و قيمة وجودها.

إن الديمقراطية الحقيقية تلغي الطائفية، كما أن الطائفية تلغي الديمقراطية وتلغي حرية الكلمة.

الجزء الثالث من موسوعة كمال جنبلاط

إن من أهم عوامل الفوضى في المجتمع الإنساني هو الفساد، إذا ما كان يفسد كل شيء، إن الفساد يفسد كل شيء حتى طعم الحياة.

يقول جنبلاط: "منذ وجد الإنسان– ككائن اجتماعي– على وجه الأرض، وتحديداً في أطر مجتمعية تكرّس اجتماعيته وتجسّد إنسانيته كمخلوق يتميز عن غيره من المخلوقات الأخرى، منذ ذاك الوقت، تطاحنت في ذاته وكينونته نزعتا الخير والشر، العدل والظلم، الحب والكراهية... لخ.وكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على تصرفاته وسلوكه مع الآخرين، في نطاق الفساد والإفساد من جهة، كما في نطاق نقيضه: الإصلاح، من جهة ثانية".ص 5

ما هو " الفساد "؟

يقول الكاتب: " وبادىء ذي بدء لا بد من الإشارة إلى أن الأقوام التي استوطنت أرض العراق التي تؤكد الشواهد التاريخية أنها أولى الحضارات في العالم، قد عرفت ظاهرة الفساد، لذلك نرى إشارات إلى جرائم الظاهرة في القوانين[مجلس أرك]، حسب آراء [السير كريمر] كما أن الوثائق التي عثرعليها وتعود بتاريخها إلى الألف الثالث[ق م] تبين أن[المحكمة الملكية] آنذاك كانت تنظر في قضايا الفساد ،مثل [استغلال النفوذ]، استغلال الوظيفة العامة، قبول الرشوة وإنكار العدالة". ص 10